الْإِرَادَةُ وَأَثَرُهَا فِي نَهْضَةِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

إِعْدادُ:

د. سلطان بن علي محمد شاهين

الأستاذ المشارك بقسم الثقافة الإسلامية بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة طيبة

مستخلص الدراسة

- موضوع الدراسة: الإرادة وأثرها في نهضة الأمة الإسلامية.
- أهداف الدراسة: هدفت الدراسة إلى:

١-بيان وتوضيح مفهوم الإرادة؟

٢-بيان أنواع الإرادة في النصوص الشرعية وعقيدة أهل السنة والجماعة فيها؟

٣-توضيح أثر الإرادة في نهضة الأمة من خلال أهم المحاور ذات العلاقة وهي: الهمة، والعمل، وسنة التغيير؟

- منهج البحث: اعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي التحليلي في التعامل مع المادة العلمية التي تخدم الدراسة وتحقق أهدافها.
- أهم النتائج:

١-الإرادة: هي أقرب إلى الحالة التي تدفع المرء إلى الفعل وتحقيق المراد، والتحول من الفكرة إلى العمل.

٢-علاج كثير من المشكلات التي تواجهنا يكون بالإرادة القوية والهمة العالية، ولنا القدوة والأسوة الحسنة في الأنبياء والصحابة والسلف الصالح من الأمة.

٣-الخطأ في مفهوم الإرادة أدى إلى عقيدة الجبرية والقدرية، والاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي، والرضى بالواقع السيء، وعدم السعي في تغييره بحجة أنه من قضاء الله وتقديره.

- التوصيات: يجب أن نضع الأهداف التي نريد، ونخطط لها، ونسعى لتنفيذها، ومن المؤسسات التي تقوم بهذه المهمة في الدولة وزارة التخطيط، بأن تضع الخطط المستقبلية، وتتابعها.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فمن الصفات المهمة التي يجب أن يتصف بها المسلم هي الإرادة القوية، والتي تأتي من عقيدة سليمة، ومن هدف واضح ومحدد، يسعى إليه في حياته، فقد مدح الله تعالى أهل الإيمان بالإرادة والعزيمة القوية في ثباتهم على الحق وبلائهم في سبيله، وصبرهم حتى بلغوا الحق الذي يطلبونه، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] وفي ظل الواقع الذي تعيشه أمتنا من الضعف والتفرق وتسلط العداء، تظهر أهمية الإرادة التي تدفع المسلم إلى العمل وترك التواني والكسل، حتى تنهض أمتنا من واقعها، وتنفض الغبار عنها، وتعود إلى سابق عهدها في قيادة العالم وهدايته وإنقاذه من ضلال جاهلية الحضارة الغربية والشرقية وزيفها وماديتها الذي زاد من شقاء البشرية وتعاستها.

والإرادة هي أقرب إلى الحالة التي تدفع المرء إلى الفعل وتحقيق المراد، أو هي أمر تثق فيه النفس، وتحرص عليه، فتقبل إليه، وتتحول من الفكرة إلى العمل.

وإذا كانت إرادة الإنسان جازمة، وفعل الإنسان ما يقدر عليه، أثيب على فعله، ولا عتب عليه، لأنه فعل ما يقدر عليه، وإذا كانت الإرادة غير جازمة، فما يعمله من عمل يعتبر هماً، وليس إرادة.

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى أعطانا الإرادة وأعطانا القدرة، ولكن لا يقع إلا ما يريد الله، فلم يسلبنا الله تعالى الإرادة، ولا القدرة، بل إن العبد إذا أراد أن يفعل شيئاً، فإن له الحرية في الفعل، وإذا أراد الله وقدر وقوع ذلك وقع بإذن الله تعالى، فليس العبد مجبوراً على أفعاله أبداً.

فما المخرج والسبيل إلى نهضة أمتنا وعلاج مشكلاتها؟، لا شك أن علاج كل المشكلات يكون بالإرادة القوية والهمة العالية، ولنا القدوة والأسوة الحسنة في الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والشهداء والسلف الصالح الذين قضوا نحبهم، وهم مقيمون على مبدئهم وطاعتهم لله تعالى، أولئك أصحاب الهمم العالية والعزائم القوية والإرادات التي جعلت أصحابها في ذلك المستوى الإيماني المرتفع.

إن الأمة الإسلامية قادرة على أن تنهض من تخلفها وعجزها وهوانها وواقعها الراهن، كما نهضت اليابان من تحت أنقاض هزائمها وكوارثها ودمارها المادي والمعنوي، لتصبح رغم ضيق مساحتها، وحرمانها من الثروات الطبيعية الضرورية، فأصبحت الدولة الثانية في العالم بمقياس التقدم الصناعي والثالثة تجارياً. فما الذي ينقصنا عن الشعب الياباني الذي لم يكن يملك غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية إلا مدناً خربة، وصناعةً مدمرة، فشق طريقه بعزيمة صادقة، وإرادة صارمة، ووسائل مكافئة للحاجة والأهداف، حتى غزت صناعته أسواق العالم، وأصبح الغرب يبحث عن سبيل اللحاق بهذا الشعب.

لقد استطاع الشعب الياباني بما عنده من عزيمة صادقة وإرادة قوية أن ينهض ويخرج من كبوته. وكذلك الشعب الألماني، صاحب أقوى دولة

أوربية اقتصادياً، كيف خرج من الحرب العالمية الثانية؟.

لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الثانية وهي تحمل ذكرى عشرة ملايين قتيل، ولا تمتلك إلا أنقاض حضارة سادت ثم بادت، ولكنها بالإرادة القوية والعمل الجدي البصير المستمر تغلبت على مشاكلها، وتقدمت، واستعادت كل قوتها وأكثر، وأصبحت في سنوات معدودات أهم دولة في أوروبا، وواحدة من أهم دول العالم في الصناعة والتجارة والاقتصاد والتقدم العلمي. وأمتنا بحاجة أن تكون صاحبة إرادة قوية، لعلاج مشكلاتها، ونهضتها وعودتها إلى عزها ومجدها، والنصر على أعدائها. لذا كان اختياري لهذا الموضوع، لعلي أن أسهم في بيان هذا الأمر، ليكون لبنة في بناء نهضة أمتنا وعودتها إلى عزها ومجدها.

مشكلة البحث:

يمكن تحديد مشكلة البحث من خلال الأسئلة التالية:

١- ما مفهوم الإرادة؟.

٢- ما أقسام وأنواع الإرادة في النصوص الشرعية؟.

٣- ما أهمية الإرادة والحاجة إليها؟.

٤- ما أهم وسائل تقوية الإرادة؟.

٥- ما أثر الإرادة في نهضة الأمة؟.

حدود الدراسة:

تركز الدراسة على مفهوم الإرادة ومعناها وأثرها في نهضة الأمة الإسلامية ولن تتعرض للعوامل الأخرى التي تسهم في نهضة الأمة الإسلامية،

لأن موضوع نهضة الأمة وسبل ذلك يتشعب في عوامل عدة دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية وغيرها.

أهمية الدراسة وأهدافها:

تظهر أهمية الدراسة وأهدافها من خلال النقاط التالية:

١–لقد كانت مسألة النهضة من الموضوعات الأساسية الشاغلة لأغلب المؤرخين والمفكرين: فما هي النهضة؟، وكيف تتحقق؟، ولماذا نهضت هذه الأمة؟ ، ولماذا انحطت تلك؟.

٢–بيان مفهوم الإرادة وتوضيحه؟.

٣–بيان أنواع الإرادة في النصوص الشرعية وعقيدة أهل السنة والجماعة فيها؟.

٤–توضيح أثر الإرادة في نهضة الأمة من خلال أهم المحاور ذات العلاقة وهي: الهمة، والعمل، وسنة التغيير.

٥–سوف تزيد الدراسة من قناعة المسؤولين وصناع القرار على ضرورة وضع أهداف محددة وواضحة، وخطة مستقبلية بحيث تسعى الأمة إلى تحقيقها في جميع قطاعات الدولة، والعمل على متابعتها.

٦–تأكيد الدراسة على ضرورة التوبة من الكلام الكثير والانتقال إلى العمل المخلص لما فيه نهضة الأمة.

٧–محاربة عقيدة القدرية والجبرية والإرجاء التي تثبط عن العمل، وتنتشر بين كثير من الناس بالتوعية.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة محكمة تناولت موضوع البحث بشكل خاص، وإن كان المفكرون الإسلاميون تناولوا موضوع أسباب النهضة وعواملها، وأسباب تخلف المسلمين، وكيفية الخروج من الأزمة بدراسات كثيرة، منها على سبيل المثال: ١-كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، للأستاذ أبو الحسن الندوي. ٢-الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، للبدري محمد محمد. ٣- الخنجر المسموم الذي طعن به المسلمون، لأنور الجندي. ٤- أسس النهضة الراشدة، للقصص أحمد. ٥-واقع المسلمين أمراض وعلاج، للنحوي عدنان علي رضا. فهذه الدراسات وغيرها على أهميتها وفائدتها، فقد تعرضت إلى أسباب التخلف والتقدم، وكيفية النهوض والعودة، ولكن لم تتناول موضوع الإرادة بشكل مركز بل هي إشارات قليلة لا تشفي غليل الباحث، فرأيت من المهم التركيز على هذا الجانب، وأفردته بهذه الدراسة التي أسأل الله تعالى التوفيق. ومن الدراسات المحكمة التي تناولت الموضوع من زوايا أخرى منها:

١-تربية الإرادة في الإسلام، السفياني، عبد الله بن رفود بن رفيد إشراف: عطايا، عبد الناصر سعيد (مشرف)، ٢٠٠٤ م، ١٤٢٥هـ، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية. هدف البحث إلى الكشف عن مفهوم الإرادة في الإسلام وأبعاده المختلفة، وتحديد أهم الأساليب التربوية لتربية الإرادة في الأسرة والمدرسة، وهذا البحث على أهميته إلا أنه يتناول الجانب التربوي، وبحثي يتناول الإرادة في جانب الفكر والسلوك وأثرها في نهضة الأمة.

٢-الإرادة الإنسانية في ضوء القرآن "دراسة موضوعية" حلس، محمد عثمان، إشراف: اللوح، عبد السلام حمدان، ٢٠٠٩ م ١٤٣٠هـ، رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية (غزة) بكلية اصول الدين في فلسطين. هدفت الدراسة إلى بيان مفهوم الإرادة في القرآن الكريم والعوامل المؤثرة فيها في ضوء القرآن الكريم وهذه الدراسة على أهميتها إلا أنها اهتمت بالتفسير الموضوعي لمصطلح الإرادة ودلالتها في القرآن الكريم.

٣-الإرادة عند السلف والمتكلمين: عرض و نقد، الشاعر، نجلاء حنضل أحمد، المشرف: بخيت، محمد حسن، ٢٠١٢ م ١٤٣٣هـ، رسالة ماجستير بالجامعة الإسلامية (غزة)، كلية اصول الدين بفلسطين. والبحث يتناول موضوع الإيمان بالقدر واختلاف المذاهب في الإرادة بين الخالق والمخلوق تأثيرها، والبحث على أهميته إلا أنه يهتم بالجانب العقدي في الإرادة بين الخالق والخلوق وعلاقتها بالقدر. ودراستي تختلف في كونها تركز على مفهوم الإرادة في الفهم والسلوك وأثره في دفع المرء إلى العمل أو الكسل.

٤-صفة الإرادة الإلهية في الفكر الإسلامي، عبد الرحمن، خليل الرحمن، أبو النجا، كمال هاشم (مشرف) ١٩٨٠م١٤٠٠هـ، رسالة ماجستير بجامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجدة بالمملكة العربية السعودية. وهذه الدراسة هدفت إلى بيان مفهوم الإرادة الإلهية عند الفلاسفة والإسلاميين والطوائف الأخرى، وإثبات هذه الصفة لله تعالى وأنواعها، وخصائصها. فهذه الدراسة على أهميتها إلا أنها

اهتمت بالجانب العقدي وتركز على الإرادة الإلهية، ودراستي تختلف عنها في كون تركز على الإرادة عند الإنسان وأثرها على الفكر والسلوك.

-منهج البحث:

اعتمدت في دراستي على المنهج الوصفي التحليلي[1] في التعامل مع المادة العلمية التي تخدم الدراسة وتحقق أهدافها. وخرجت الأحاديث، وبينت حكمها إذا كانت في غير الصحيحين، وإذا لم تكن في الصحيحين أوردت حكم المحققين المعتبرين في الحديث.

(١) وهو المنهج الذي يهتم بوصف الظواهر السلوكية والطبيعية في بيئة معينة، وذلك لمعرفة أسبابها ووضع الحلول المناسة لها بعد جمع المعلومات حولها وتحليلها. وكثيرا ما يستخدم الطريقة المنطقية الاستقرائية والاستنتاجية للتوصل إلى قاعدة عامة. (انظر: كتابة البحث العلمي، أبو سليمان عبدالوهاب إبراهيم، ص٢٤-٢٥، ط ٣، دار الشروق ١٤٠٨هـ جده).

خطة الدراسة:

لقد قسمت الموضوع البحث إلى مقدمة وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة: تناولت فيها أهمية الموضوع، ومشكلة الدراسة، ومنهج البحث، والدراسات السابقة، وخطة الدراسة.

تمهيد: تناولت فيه التعريف بمصطلحات البحث: الإرادة، الأثر، النهضة، الأمة الإسلامية.

المبحث الأول: أقسام الإرادة وأهميتها ووسائل تقويتها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أقسام الإرادة.

المطلب الثاني: أهمية الإرادة.

المطلب الثالث: وسائل تقويتها.

المبحث الثاني: أثر الإرادة في نهضة الأمة الإسلامية، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: أثر الإرادة في بعث الهمم.

المطلب الثاني: أثر الإرادة في الحث على العمل.

المطلب الثالث: أثر الإرادة في التغيير ونهضة الأمة.

الخاتمة: أهم النتائج والتوصيات.

تمهيد: التعريف بمصطلحات البحث:

أولاً: تعريف الإرادة لغة واصطلاحاً.

١-التعريف اللغوي: الإرادة في اللغة: المشيئة، وطلب الشيء، وقيل: حب الشيء والاعتناء به، يقال: أَراد الشيءَ شاءَه. والإِرادَة تكون مَحَبَّة وغير محبة. ويقال: راوَدَهُ على كذا مُرَاوَدَةً ورِوَاداً بالكسر أي أراده، ورَادَ الكلأ أي طلبه[١].

والفرق بين الارادة والمشيئة: أن الارادة هي العزم على الفعل أو الترك بعد تصور الغاية المترتبة عليه من خير، أو نفع، أو لذة ونحو ذلك. وهي أخص من المشيئة، لأن المشيئة ابتداء العزم على الفعل، فنسبتها إلى الإرادة نسبة الضعف إلى القوة، والظن إلى الجزم، فإنك ربما شئت شيئاً ولا تريده، لمانع عقلي أو شرعي. فالمشيئة قبل الإرادة، وأما الارادة فمتى حصلت صدر الفعل لا محالة إلا وجود سبب خارجي يمنع حصول الفعل[٢]. ومن معاني الإرادة الرغبة: يقال ((رَغِبْتُ في الشيء، إذا أردتَه، رغبةً ورَغَباً بالتحريك. وارْتَغَبْتُ فيه مثلُهُ. ورَغِبْتُ عن الشيء، إذا لم تُرِدْهُ

---

(١) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، مادة (رود) ١٢٢/٨، ولسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ مادة (رود) ١٨٧/٣.

(٢) انظر: معجم الفروق اللغوية، العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ت: محمد إبراهيم سلي، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١ ١٤١٢هـ، ص٣٥.

وزَهِدت فيه))[١]، فالإرادة لغة: هي المشيئة والعزيمة المؤكدة لقوّة في النفس وحاجة وأمل، تدفع المرء أن يفعل أو لا يفعل.

٢-التعريف الاصطلاحي: عند التأمل نلاحظ أن التعريف الاصطلاحي للإرادة قريب من المعنى اللغوي، فهي صفة تسبق الفعل، أو هي أقرب إلى الحالة التي تدفع المرء إلى الفعل وتحقيق المراد، قال الجرجاني ((الإرادة صفة توجب للحي حالاً يقع منه الفعل على وجه دون وجه وفي الحقيقة هي ما لا يتعلق دائما إلا بالمعدوم، فإنها صفة تخصص أمراً ما لحصوله ووجوده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢]))[٢]، وقيل الإرادة: هي العزيمة المؤكدة[٣]. وقيل هي قوة تدفع إلى الفعل أو تركه، قال الأصفهاني ((والْإِرَادَةُ في الأصل: قوّة مركّبة من شهوة وحاجة وأمل، وجعل اسماً لنزوع النّفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يفعل، أو لا يفعل))[٤].

والْمَشِيئَةُ عند أكثر المتكلّمين كالإرادة سواء، وعند بعضهم:

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ، ١٤٠٧هـ، مادة (رغب) ١/٢٦٠.

(٢) التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ص٣٠.

(٣) انظر المرجع السابق، ص١٩٤.

(٤) مفردات في غريب القرآن، الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت ١٤١٢ هـ، ت: صفوان عدنان داودى. ، مادة (رود)، ص٣٧١.

المشيئة في الأصل: إيجاد الشيء وإصابته، وإن كان قد يستعمل في التّعارف موضع الإرادة، فالمشيئة من اللّه تعالى هي الإيجاد، ومن الناس هي الإصابة، والمشيئة من اللّه تقتضي وجود الشيء، ولذلك قيل: ما شَاءَ اللّه كان وما لم يَشَأْ لم يكن[1] وهناك من يرى أن الإرادة إدراك يبعث على العمل يسبقه إدراك عقلي للمصلحة والخير، قال الغزالي في الإحياء ((وأما الإرادة فإنه إذا أدرك بالعقل عاقبة الأمر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق إلى جهة المصلحة وإلى تعاطي أسبابها والإرادة لها))[2] وهناك من يرى أنها أمر تثق فيه النفس، وتحرص عليه، فتقبل إليه. قال الشيخ محمد الخضر حسين (ت١٣٧٧هـ) ((يخطرُ في النفس أمرٌ فتثِقُ بأنه حقٌ أو نافع، فتحرص على حصوله، فإذا أضافت إلى هذا الحرص النظر في وسيلة بلوغها إياه؛ وبدا لها أنه في حدود استطاعتها، فسرعان ما تقبل عليه وتبذل سعيها للوصول إليه؛ وذلك ما نسميه بالعزم أو الإرادة))[3]، وعرفها الدكتور عبدالله الجربوع بتعريف قريب من التعريف السابق فقال ((الإرادة هي: نزوع النفس وميلها إلى الفعل بحيث يحملها عليه، فهي تتركب من أمرين: رغبة في الفعل أو شعور بالحاجة إليه أو تعلق أمل به، ثم قصده وميل النفس

---

(١) مفردات في غريب القرآن، الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت ١٤١٢ هـ، ت: صفوان عدنان داودى. ، مادة (رود)، ص٣٧١.

(٢) إحياء علوم الدين، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، دار المعرفة – بدون تاريخ، بيروت، ٨/٣.

(٣) موسوعة الأعمال الكاملة، دار النوادر بسوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ١٣٦/٥.

لفعله))[١]، وعرفها الدكتور محمد عبدالله دراز بتعريف أوضح، حيث أكد على أن الإرادة تعني الانتقال من الفكرة إلى العمل، فقال: ((الإرادة هي بالمعنى الحقيقي أن نتحرك حركة انتشارية، تنطلق من الفكرة، متجهة نحو العمل. والإرادة هي التوجه من المثالي إلى الواقعي، وعلى هذه المسيرة من الباطن إلى الظاهر، ومن الشعور إلى التجربة يوجد الفعل الأخلاقي))[٢]، إذن الإرادة هي التحول من الفكرة إلى العمل ومن المثالي إلى الواقعي ومن الباطن إلى الظاهر، لذلك كان العمل قوة في الإرادة، والكسل ضعف فيها. وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الإرادة إلى قسمين: إرادة جازمة توجب وقوع الفعل، وإرادة غير جازمة فلا توجب وقوع الفعل[٣]، فإذا كانت إرادة الإنسان جازمة، وفعل الإنسان ما يقدر عليه، أثيب على فعله، ولا عتب عليه، لأنه فعل ما يقدر عليه، وإذا كانت الإرادة غير جازمة، فما يعمله من عمل يعتبر هماً، وليس إرادة[٤]، وأصل الإرادة النية والعزم، فأول الأمر النية والعزم، ثم الهم، ثم الإرادة والفعل[٥]، أما الإرادة في الاصطلاح الشرعي،

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجربوع عبدالله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ١/٧٩.

(٢) دستور الأخلاق في القرآن، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ، ١/٤٦٣.

(٣) انظر: أسباب رفع العقوبة عن العبد، تحقيق: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٦هـ، ص١٥١-١٥٢.

(٤) انظر: رسالة العرشية، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٩هـ، ص٣٠.

(٥) انظر: الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص١.

وهي الإرادة الكونية والشرعية والفرق بينهما، فسوف يأتي الكلام بالتفصيل عنها. والخلاصة أن الإرادة: هي أقرب إلى الحالة التي تدفع المرء إلى الفعل وتحقيق المراد، أو هي أمر تثق فيه النفس، وتحرص عليه، فتقبل إليه، وتتحول من الفكرة إلى العمل. ونخلص أيضاً أنه إذا كانت إرادة الإنسان جازمة، وفعل الإنسان ما يقدر عليه، أثيب على فعله، ولا عتب عليه، لأنه فعل ما يقدر عليه، وإذا كانت الإرادة غير جازمة، فما يعمله من عمل يعتبر هماً، وليس إرادة.

ثانياً الأثر:

١-التعريف اللغوي: الأثر في اللغة: "بقية الشيء، والجمع آثار"[(١)]، "والأَثَرُ بالتحريك: ما بقي من رسْم الشيء وضربةِ السيفِ. وسُنَنُ النبي صلى الله عليه وسلم: آثارُهُ. "[(٢)]، فيكون الأثر ما بقي من الشيء وعلامته.

٢-التعريف الاصطلاحي: "أثر الشيء: حكمه المترتب عليه بطريق المعلولية، وقد يقال أثر الشيء ويراد غرضه وغايته، فإن أثر الشيء أي معلولة كما يكون بعده كذلك الغرض من الشيء وغايته يكون بعد ذلك الشيء"[(٣)]. وقيل أن الأثر في الاصطلاح له ثلاثة معان، الأول: النتيجة،

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادة (أثر)، ٥/٤.

(٢) الصحاح للجوهري، مادة (أثر)، ١/٤.

(٣) دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون – القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، ٣٠/١، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

وهو الحاصل من شيء، والثاني: العلامة، والثالث: الجزء[١] والمعنى الأول هو الذي نقصده. وهو النتيجة الحاصلة من الشيء. فيكون الأثر ما يترتب على الأمر ونتيجته وغايته وغرضه. وأثر الإرادة على النهضة، أثر فهمها الفهم الصحيح ونتيجة وغاية تحقيقها على نهضة الأمة وواقعها.

ثالثاً: النهضة:

١-التعريف اللغوي: النهضة في اللغة: من الفعل نهض، بمعنى قام. والنُّهوضُ البَراحُ من الموضع والقيامُ عنه، يقال: نهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً وانْتَهَضَ أَي قامَ[٢]. ومن خلال المعنى اللغوي تتضح حركية النهوض وفعليته في الأشياء سواء على الصعيد الفكري والنفسي أو المادي، وفي كلا المعنيين هناك انتقال من حال إلى حال وتغيير في الهيئة والموضع وتحرك للحواس عند المرء واستحضار لطاقاته وقواه، ونجد أن النهوض يرادف القيام، وهو ما أورده القرآن بنفس المعنى في قوله تعالى: ﴿۞قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ ٤٦﴾ [سبأ: ٤٦].

٢-التعريف الاصطلاحي: النهضة ((الطاقة والقوة والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره))[٣].

رابعاً: الأمة الإسلامية:

(١) انظر: التعريفات للجرجاني، ص٢٣.

(٢) انظر: تاج العروس- الزبيدي، مادة (نهض)، ٩٩/١٩، و لسان العرب، ابن منظور، ١٤١٥هـ، مادة (نهض)، ٢٤٥/٧.

(٣) المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون، مادة (نهض)، ٩٥٩/٢.

١-التعريف اللغوي: الأمة في اللغة: أُمُّ الشي: أصلُهُ. ومَكَّة: أُمُّ القُرى. والأُمُّ: الوالدةُ، والجمع أُمَّاتٌ. والأُمَّةُ تطلق على عدة معاني منها: الطريقةُ والدينُ، والحينُ وهي الفترة الزمنية، وتطلق على الطريقُ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر: ٧٩] والإمامُ: الذي يُقْتَدى به[١]. والأمة: جماعة أرسل إليهم رسول سواء آمنوا أو كفروا. وقال الليث: كل قوم نسبوا إلى نبي فأضيفوا إليه فهم أمته، قال: وكل جيل من الناس هم أمة على حدة [٢].

٢-التعريف الاصطلاحي: المقصود بالأمة اصطلاحاً: من بعث فيهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم سواء ممن آمن به أو لا. وأما الإسلامية: فهي نسبة إلى الإسلام، وهو يعني الاستسلام لأمر لله تعالى والانقياد لطاعته[٣]، وإضافة الياء للنسبة، فيكون المقصود بالأمة الإسلامية: هم أتباع النبي صلى الله ممن آمن به وصدقه.

---

(١) انظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ، مادة (أمم) ١/٢٢-٢٣.

(٢) انظر: تاج العروس، الزبيدي، مادة (أمم)، ٣١/٢٢٩.

(٣) انظر المحيط في اللغة، ابن عباد الصاحب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، عالم الكتب – بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م الطبعة: الأولى، مادة (سلم) ٢/٢٦٥

المبحث الأول: أقسام الإرادة وأهميتها ووسائل تقويتها.

المطلب الأول: أقسام الإرادة في النصوص الشرعية:

جاء مصطلح الإرادة في كثير من نصوص الكتاب والسنة التي تبين إرادة الله تعالى، وما يتعلق بها من إرادة العبد وعمله، وبينت النصوص بوضوح كلاً من الإرادتين وأثبتهما.

وبالتأمل في النصوص الشرعية التي جاء فيها ذكر الإرادة نجد أنها تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: الإرادة الإلهية:

وهي على نوعين:

النوع الأول: الإرادة الكونية القدرية: ((وهي مشيئة الله الشاملة وقدرته النافذة وليس لأحد خروج منها ولا محيد عنها. ولا ملازمة بينها وبين المحبة والرضا، بل يدخل فيها الكفر والإيمان والسيئات والطاعات، والمحبوب المرضي له والمكروه المبغض، كل ذلك بمشيئته وقدره وخلقه وتكوينه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقال ذرة))[1] فالله تعالى له الإرادة الكاملة التامة كما وصفه سبحانه وتعالى نفسه بأنه فعال لما يريد، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧﴾ [هود: ١٠٧] وقال تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ [البروج: ١٦]، فلا تحدث حركة ولا سكنة في الأرض ولا

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الحكمي حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م، ١/٢٣٠.

في السماء إلا بإرادته ومشيئته ولو شاء عدم وقوعها لم تقع، فهذه هي إرادته الكونية القدرية التي لابد من وقوعها [(1)]، كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً ﴾ [الإسراء: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ [المائدة: ٤١]، وفي الحديث يقوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[(2)]، ويقول أيضاً "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خيراً يصب منه"[(3)] فالإرادة الكونية القَدَرية هي الإرادة الشاملة لجميع الحوادث، ولا يتخلَّف مُرادها، وهي المذكورة في قول المسلمين: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن. فمشيئته سبحانه وتعالى نافذة وإرادته نافذة هذه الإرادة الكونية القدرية.

النوع الثاني: الإرادة الدينية الشرعية: وهي الأمر المستلزم لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يحبه ويرضاه ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه. ولا ملازمة بين الإرادة الدينية الشرعية والإرادة الكونية القدرية إلا في حق المؤمن المطيع، وأما الكافر فينفرد في حقه الإرادة والقضاء والأمر الكوني القدري، فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده إلى طاعته ومرضاته وجنته ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدر هدايته ولهذا قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ

---

(١) انظر: المرجع السابق، ١/٢١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي)، باب (قوله تعالى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ})، رقم الحديث (٣١١٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الزكاة)، باب(النهي عن المسألة)، رقم الحديث (١٠٣٧).

دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥]، فعمم الدعوة إلى جنته وهي دار السلام وأنه يدعو إلى ذلك جميع عباده وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخص الهداية بمن يشاء هدايته، كما قال تعالى: ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور: ٣٥]، فإنه لا يلزم فيها وقوع المراد ويلزم أن يكون محبوباً لله، ولهذا نقول: الإرادة الشرعية بمعنى المحبة[(١)]. كما قال الله تعالى فيها: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧]، ثم إن بعض الناس قد يسلكون سبيل التوبة فيتوب الله عليهم وبعض الناس لا يسلكونها فلا يتوب الله عليهم، وقال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فهذه الآيات تدل على أن الإرادة المقصودة، هي الإرادة الدينية الشرعية، ولو كانت الإرادة هذه كونية لما حصل لأحد منا عسر أبداً.

القسم الثاني: إرادة العبد أو الإنسان:

دلت النصوص الكثيرة على إثبات إرادة العبد وإضافة عمله إليه وإثابته عليه كرامة أو إهانة، وكلها من عند الله، ولو كان مجبراً عليها ما كان لإضافة عمله إليه وإثابته عليه فائدة. وأما قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا

(١) انظر: معارج القبول، الحكمي، ١/٢٣٠، و القول المفيد على كتاب التوحيد، العثيمين محمد بن صالح، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ، ٢/٢٩٦.

تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات: ٩٦]، فأضاف العمل إليهم، والله تعالى خالقه، وقد عمل العبد بإرادته الجازمة وقدرته التامة، والإرادة والقدرة مخلوقتان لله عز وجل فكان الحاصل بهما مخلوقاً لله. والقول بالجبر باطل بالكتاب والسنة والعقل وغيره، فمن أدلة الكتاب: قوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٢]، فأثبت للعبد إرادة، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧]، وقال: ﴿إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة النمل: ٨٨]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة المنافقون: ١١]، فأثبت للعبد إرادة قولاً وفعلاً وعملاً. ومن أدلة السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"[(١)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "ما نهيتكم عنه؛ فاجتنبوه، وما أمرتكم به؛ فأتوا منه ما استطعتم"[(٢)]، ولهذا إذا أكره المرء على قول أو فعل وقلبه مطمئن بخلاف ما أكره عليه؛ لم يكن لقوله أو فعله الذي أكره عليه حكم فاعله اختياراً. وأما دلالة العقل على بطلانه؛ فلأنه لو كان العبد مجبراً على عمله؛ لكانت عقوبة العاصي ظلماً ومثوبة الطائع عبثاً، والله تعالى منزه عن هذا وهذا، ولأنه لو كان العبد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي)، باب(كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟)، رقم الحديث (١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (الفضائل)، باب(باب تَوْقِيرِهِ -صلى الله عليه وسلم- وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لاَ ضَرُورَةَ إِلَيْهِ أَوْ لاَ يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لاَ يَقَعُ وَنَحْوِ ذَلِكَ.)، رقم الحديث(٦٢٥٩).

مجبراً على عمله لم تقم الحجة بإرسال الرسل؛ لأن القدر باق مع إرسال الرسل، وما كان الله ليقيم على العباد حجة مع انتفاء كونها حجة. وأما دلالة الحس على بطلانه؛ فإن الإنسان يدرك الفرق بين ما فعله باختياره؛ كأكله وشربه وقيامه وقعوده، وبين ما فعله بغير اختياره؛ كارتعاشه من البرد والخوف ونحو ذلك.

أخطاء في فهم الإرادة وأقسامها:

لقد وقع الخطأ في فهم الإرادة وأقسامها عند بعض الفرق من المسلمين، وهذا الخطأ تأثر به عوام المسلمين في الماضي والحاضر؛ الأمر الذي أسهم في نشر المفاهيم الخاطئة حول هذه الصفة، أعني صفة الإرادة في الرب، وفي العبد، وهذا الأمر له أثر كبير في حياة الإنسان وواقعه ومستقبله كما سوف نرى إن شاء الله تعالى.

خلط فرقة الجبرية[١] والقدرية[٢] في الإرادة: وقع خلط بين

(١) "وهم الجبرية الجهمية الذين أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته، وقالوا: ليس للعبد اختيار ولا قدرة في ما يفعله أو يتركه؛ فأكله وشربه ونومه ويقظته وطاعته ومعصيته كلها بغير اختيار منه ولا قدرة، ولا فرق بين أن ينزل من السطح عبر الدرج مختارا وبين أن يلقى من السطح مكرها" (القول المفيد على كتاب التوحيد، العثيمين محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ، ٣٩٧/٢، وانظر شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ت أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية الطبعة ١، ١٤١٨هـ، ص٤٣٩).

(٢) القدرية: هم الذين يقولون: إن العبد يخلق فعل نفسه، ويزعمون أنّ الرب عز وجل أراد طاعة المطيع، وأراد إيمان المؤمن؛ أراد إيمان المكلف، ولكن المكلف أراد الكفر وأراد =

الإرادتين الكونية القدرية والإرادة الدينية الشرعية، حيث ضلت فيها فرقتي الجبرية والقدرية، فجعلوها شيئاً واحداً، وصار بعض الناس يقولون إننا مجبورون على الأفعال لا إرادة لنا (وهم الجبرية)، وبعض الناس يقولون: أن كل شيء نفعله فالله يريده يعني يحبه، فضلوا واستمروا على المعاصي والضلال، وقالوا: إن الله يحب هذا واحتجوا بأنه وقع وأن الله أراده، ولو لم يرده ويحبه لما وقع، ولكنهم ضلوا لعدم التمييز بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية، وهؤلاء الذين يقولون: إن كل ما يقع محبوب له وهم (الجبرية)، يقابلهم (القدرية) الذين يقولون: إن الله جل وعلا لم يرد الزنا من الجاهلين، فهو واقع من غير إرادته جل وعلا، وهؤلاء كذبوا على الله جل وعلا، فإنه لا يقع شيء في الكون إلا بإرادته، فما من حركة ولا سكون ولا ذهاب ولا إياب ولا قيام ولا قعود إلا بإرادة الله جل وعلا ولا معصية ولا طاعة إلا بإرادته جل وعلا، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩]، فكل ما في الكون هو بإرادته جل وعلا، لكن هؤلاء قالوا: إنه ليس مراداً لله؛ لأنه ليس محبوباً له، والله لا يريد إلا ما يحب، فأخرجوا المعاصي عن إرادة الله جل وعلا.

ومن آثار هذا الخلط بين الإرادتين: الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي. وهذا خطأ كبير، لأن مشيئة الله جل وعلا الكونية ما يحتج بها العبد فيما يُعابُ به. والاحتجاج بالقدر في حصول المعايب لا يصح بل

= المعصية فكان ما لم يرد الله عز وجل ويقولون: إن العبد مستقل بعمله، والله ليس له تصرف في أعمال العباد. (انظر: القول المفيد، العثيمين محمد بن صالح، ٢/٩٠ وانظر شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٣٩).

يحتج بالقدر في المصائب فقط، ولا يحتج به فيما يقع فيه الإنسان من خطأ أو تقصير. . فما يحصل للعبد نوعان من الابتلاءات مما يلام عليه: نوع من المصائب، ونوع آخر هو من المعايب. والاحتجاج بالمشيئة أو بالإرادة إرادة الله الكونية أو بالقدر يجوز أن يُحتج به في المصائب، أما في المعايب فلا يجوز الاحتجاج به، وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم بين في حديث احتجاج آدم وموسى أن آدم عليه السلام قال لموسى عليه السلام " يا موسى أنت الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني، أو قدره علي قبل أن يخلقني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فحج آدم موسى"(١).

ووجه كون آدم حج موسى، أن موسى لام آدم على مصيبة الخروج من الجنة له، وما أصاب ذريته من جراء تلك المصيبة، فموسى يلوم آدم على المصيبة له ولذريته. وحج آدم موسى لأنه احتج بالقدر على ما أصابه وهو إخراجه من الجنة وما أصاب ذريته منها. بهذا يعلم أن الاحتجاج بالقدر والإحالة على إرادة الله إذا كانت ثَم مصيبة على العبد، فإنه يحيلها إلى القدر، لأن هذا فيه نوع من التسليم والرضا بقضاء الله جل وعلا. أما إذا كان الفعل من المعايب والآثام فلا يجوز أن يحتج بالقدر، لأن الإنسان له علاقة بما فعل، ألا وهو معصيته وعدم موافقته للإرادة الشرعية. لهذا يقول علماء الحديث يُحْتَجُّ بالقدر في المصائب لا في المعايب(٢).

---

(١) أخرجه البخاري صحيحه في كتاب (بدء الوحي)، باب ({فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى}) رقم الحديث (٤٧٣٨).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، آل الشيخ صالح، ١/١٩١-١٩٢، الموسوعة الشاملة.

من الآثار في هذا الخلط بين الإرادتين على فهم الجبرية: الرضى بالواقع السيء، وعدم السعي في تغييره بحجة أنه من قضاء الله وتقديره، وليس للإنسان إرادة وفعل فيه.

ومن آثار هذا الخلط بين الإرادتين على فهم القدرية، أنه يقع في ملك الله ما لا يريده، وأن الله لا يعلم أفعال العباد، لأن العباد هم الفاعلون لأفعالهم مع كونهم مملوكين لله تعالى يقتضي إثبات شيء في ملك الله لا يريده الله، وهذا شرك بالله، ولهذا سمى النبي صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الأمة. كما أن هذا الأمر يوقع العبد في المعاصي، ويضعف مراقبة الله عنده. وفي الإرادة الكونية القدرية تحصل حكمة الابتلاء للعباد، لأن حقيقة الابتلاء لا تحصل إلا بذلك(1).

وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى أعطانا القدرة وأعطانا الإرادة، ولكن لا يقع إلا ما يريد الله، فلم يسلبنا الله الإرادة، ولا القدرة، بل إن العبد إذا أراد أن يفعل شيئاً، فإن له الحرية في الفعل، وإذا أراد الله وقدر وقوع ذلك وقع بإذن الله تعالى، فليس العبد مجبوراً على أفعاله أبداً، والله سبحانه وتعالى أعطانا الإرادة وأراد منا أن نعبده تعالى، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧]، ومن الأدلة على أن الإنسان له إرادة ما أخبر الله تعالى به في عدد من المواضع في كتابه كقوله تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ ﴾ [القصص: ١٩]، وقال: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود: ٧٩]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة، فنحن لنا إرادة

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، آل الشيخ صالح، ١/١٩١-١٩٢، الموسوعة الشاملة.

ضمن إرادة الله لا يمكن أن نخرج عن إرادة الله ولسنا مجبورين على أفعالنا(١). فالله تعالى خلق فينا الإرادة، وجعل فينا غرائز وأهواء وشهوات، فالإرادة الحازمة تلبي المطالب الشرعية، وترفض الإذعان لما يخالف الشريعة. وعلى مقدار إيمان الإنسان تكون قوة إرادته، وبمقدار انحرافه وإتباعه لأهوائه وشهواته ونزواته وغرائزه يكون ضعف إرادته، لأن الشهوة تجعله ضعيف الإرادة مسوقاً إلى تحقيق مطالب النفس الأمارة بالسوء بدون أن يقاوم.

المطلب الثاني: أهمية الإرادة:

من الصفات المهمة التي يجب أن يتصف بها المسلم هي الإرادة القوية، والتي تأتي من عقيدة سليمة، ومن هدف واضح ومحدد، يسعى إليه في حياته، فقد مدح الله تعالى أهل الإيمان بالإرادة والعزيمة القوية في ثباتهم على الحق وبلائهم في سبيله، وصبرهم حتى بلغوا الحق الذي يطلبونه، قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣-٢٤]، فبذلوا أرواحهم في طاعة الله تعالى وفاء وصدقاً، على ما أرادوا، فقتلوا في سبيل اللّه، وماتوا مؤدين لحقه، لم ينقصوا منه شيئاً. ومنهم من هو ملازم لعهده ووفائه وصبره ساع ومجد فيه(٢). وفي ظل الواقع

(١) انظر: معارج القبول، الحكمي، ٣/٩٤٢.

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، =

الذي تعيشه أمتنا من الضعف والتفرق وتسلط العداء، تظهر أهمية الإرادة التي تدفع المسلم إلى العمل وترك التواني والكسل، حتى تنهض أمتنا من واقعها، وتنفض الغبار عنها، وتعود إلى سابق عهدها في قيادة العالم وهدايته وإنقاذه من ضلال جاهلية الحضارة الغربية والشرقية وزيفها وماديتها الذي زاد من شقاء البشرية وتعاستها، فمن خلال الإحصائيات نجد أن أفقر دول العالم مُسلمة! ! ، فقد ذكرت دراسة أعدها البنك الدولي تحت عنوان: (الفقر والجوع. . . مشكلات واختيارات تتعلق بالأمن الغذائي في الدول النامية)[1]، ذكرت هذه الدراسة أن هناك أكثر من سبعمائة مليون شخص في العالم لا يجدون ما يقوم بأودهم، ومعظمهم يعانون من سوء التغذية، ومعظم هؤلاء المنكوبين يعيشون في جنوبي آسيا والمنطقة الصحراوية من أفريقيا. . . وهذا يعني أن نسبة كبيرة منهم من المسلمين.

والتخلف التقني والعلمي الذي تعاني منه الأمة الإسلامية، أدى إلى وقوعها في مرحلة الاستضعاف من أعدائها الذين تسلطوا عليها، وحاصروها من جوانب عديدة، يقول الدكتور زغلول النجار ((يمر المسلمون اليوم بفترة من أقسى فترات التحدي الحضاري في تاريخهم الطويل، ويبلغ هذا التحدي مداه في مجال العلوم والتقنية حيث تخلفت الدول الإسلامية تخلفاً ملحوظاً، بينها تقدمت المعارف في هذين المجالين تقدماً مذهلاً خلال القرن الحالي بصفة عامة، وفي النصف الأخير منه بصفة خاصة، مما

= ط (١) ١٤٢٠هـ. ، ص٦٦٠.

(١) انظر: المنتدى الإسلامي، مقال في كلمة التحرير، بعنوان (مجاعة فأين ابن الخطاب)، مجلة البيان، العدد ١. المنتدى الإسلامي مجلة البيان، العدد ١، ص٥٣.

ميز عصرنا بأنه عصر الصواريخ ورحلات الفضاء، وعصر الذرة والطاقة النووية، وعصر الإلكترونات والحواسيب الإلكترونية، أو بصفة أعم عصر العلوم والتقنية، وهذه مجالات لم تدخلها معظم الدول الإسلامية بعد، أو دخلتها بجهود فردية محدودة لا تكاد تساير تقدم العصر في ذلك، مما تسبب في وجود هوة شاسعة تفصل الدول الإسلامية (في زمرة الدول النامية) عن الدول المتقدمة علمياً وتقنياً، في زمن يتضاعف حجم المعلومات فيه مرة كل عشر سنوات تقريباً، وتتسارع القدرة على تجديد الإمكانات التقنية كل ثلاث سنوات))[١].

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن تكالب الأعداء على المسلمين كما تتكالب الأكلة على قصعتها في هذا الزمان بسبب الوهن الذي حل فيهم، فقد جاء في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ ، قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ "، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: "حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"[٢]، وقد فسر

---

(١) قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، تقديم: د. عمر عبيد حسنة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م. ، ص٢٣.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب (الملاحم) باب (في تداعي الأمم على الإسلام)، حديث رقم (٤٢٩٧) قال الألباني: صحيح. (سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، مؤسسة المؤتمن للتوزيع، ص٤٦).

النبي صلى الله عليه وسلم الوهن بحب الدنيا وكراهية الموت، قال الشيخ الآبادي في عون المعبود: ((الوهن: أي الضعف، وكأنه أراد بالوهن ما يوجبه ولذلك فسره بحب الدنيا وكراهة الموت قاله القاري. (وما الوهن): أي ما يوجبه وما سببه. قال الطيبي رحمه الله: سؤال عن نوع الوهن أو كأنه أراد من أي وجه يكون ذلك الوهن. (قال حب الدنيا وكراهية الموت): وهما متلازمان فكأنهما شيء واحد يدعوهم إلى إعطاء الدنية في الدين من العدو المبين، ونسأل الله العافية))(1). والبعض منا يقولون عندنا معاصي لا نستطيع أن نفارقها وشهوات واقعون فيها لا نستطيع أن نبارحها، وعندنا ضياع في الأوقات، وعندنا مشكلات ندخل في مشاريع فلا نكملها، وتنقطع بنا السبل، ونعيش في فوضى، وحياتنا ليست مرتبه. فما المخرج إذن؟ ، لا شك أن علاج كل هذه المشكلات يكون بالإرادة القوية والهمة العالية، ولنا القدوة والأسوة الحسنة في الأنبياء والصحابة والتابعين والعلماء والشهداء والسلف الصالح الذين قضوا نحبهم وهم مقيمون على مبدئهم وطاعتهم لله أولئك الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبۡدِيلࣰا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، أولئك أصحاب الهمم العالية والعزائم القوية والإرادات التي جعلت أصحابها في ذلك المستوى الإيماني المرتفع.

ولقد وضح لنا القرآن أهمية توافر الإرادة الصادقة في المجتمع

(١) عون المعبود شرح سنن أبي داود، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، ٩/٣٦٥.

والصف المسلم من أجل أن يتحقق له النصر على أعدائه وأولهم هي النفس التي يجب أن تتعلم فن الإرادة ويتضح هذا المثال واضحاً في قصة سيدنا آدم والشجرة المحرمة فهو أول اختبار للإرادة البشرية(١)، حيث يقول تعالى: ﴿ وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٥]، ويقول تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ [طه: ١٢٠-١٢١]، وصدق ربنا حين قال: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: ١١٥]، قال الشيخ ابن سعدي في تفسيره: ((ولقد وصينا آدم وأمرناه، وعهدنا إليه عهدا ليقوم به، فالتزمه، وأذعن له وانقاد، وعزم على القيام به، ومع ذلك نسي ما أمر به، وانتقضت عزيمته المحكمة، فجرى عليه ما جرى، فصار عبرة لذريته، وصارت طبائعهم مثل طبيعته، نسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ فخطئوا، ولم يثبت على العزم المؤكد، وهم كذلك، وبادر بالتوبة من خطيئته، وأقر بها واعترف، فغفرت له، ومن يشابه أباه فما ظلم))(٢). فعلاج ضعف الإرادة والعزيمة يكون بالتوبة وصدق العزيمة في العمل والالتزام به، ولنا في أبينا آدم الأسوة والقدوة. ولننظر إلى قوة الإرادة وصدقها، في قصة سيدنا نوح

---

(١) انظر: أ. عمرو محمود حسن، مقال بعنوان ((الإرادة في حياة الفرد المسلم))، تاريخ الإضافة ١ مايو ٢٠١٣م. على الرابط: http: //www. manaratweb. com

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ١٤٢٠، ص٥١٤.

عليه السلام، حيث بذل جهداً عظيماً في دعوة قومه مدة ألف سنة إلا خمسين عاماً، وهو يدعوهم إلى الله تعالى، ولم يفت في عضده عدم استجابة قومه[1]. وانظر إلى صبره وجلده، حيث قال تعالى على لسان سيدنا نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ ﴾ [نوح: ٥-١٠]، وهذه قصة طالوت وقومه توضح لنا أهمية الإرادة على الطريق لأنها تنقي الصف المسلم من المهزومين نفسياً ومن الضعفاء ومن الذين تأخذهم الحماسة العمياء دون وجود دوافع قوية في حياتهم وعدم قدرتهم على الثبات والصمود أمام العقبات، فرغم تحذير نبيِّهم لهم من أن القتال إذا كُتب عليهم لن يُقاتلوا، إلا أنهم أصرُّوا عليه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

ورغم أن الظروف والأسباب التي دفعت بني إسرائيل للجهاد والقتال في سبيل الله كانت قويةً وحاضرةً في أذهانهم، إلا أن بعضهم لم يستمر: ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، فاختبرهم الله تعالى ليمحصهم، ومدى صدق إرادتهم وعزمهم، فانهارت إرادة بعضهم

(١) انظر: أ. عمرو محمود حسن، مقال بعنوان ((الإرادة في حياة الفرد المسلم))، مرجع سابق.

سريعاً عند أول اختبار للتأكد من صدق عزمهم، وقوة إرادتهم على القتال، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾﴾ [البقرة: ٢٤٦]، وهذه الإرادة التي لا تتزحزح تظهر جلية في اختبار النهر عندما وضع شرطاً شديداً لمن يريد أن يجاهد في سبيل الله، ويكمل جهاده بعدم شرب الماء من النهر رغم شدة العطش ورغم حاجتهم لإرواء ظمئهم، والله أراد أن يختبرهم ويبتليهم، يقول تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [البقرة: ٢٤٩]، إن الإرادة التي كانت لدى الجنود هي الإرادة التي نريدها الآن في قلب كل مسلم، يريد أن يخدم دينه فعليه أن يضحي ويصبر ويحتسب من أجل إعلاء كلمة الله عالية خفاقة ورغم ذلك فإن المسلم الحق يمر بمراحل عدة تختبر فيها إرادته ورغبته في خدمة دين الله فلا يخلو الطريق من عقبات تمحص الإرادة لتفرز لنا النخبة القوية الثابتة القادرة على مواجهة كل الظروف لنصرة دين الله. إن الأمة الإسلامية قادرة على أن تنهض من تخلفها وعجزها وهوانها وواقعها الراهن، كما نهضت اليابان من تحت أنقاض هزائمها وكوارثها ودمارها المادي والمعنوي، لتصبح رغم ضيق مساحتها، وحرمانها من الثروات الطبيعية الضرورية، من الدول المتقدمة صناعيا، وقد حققت اليابان

المعجزة الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية وأصبحت الدولة الثانية في العالم بمقياس التقدم الصناعي والثالثة تجارياً[(١)].

فما الذي ينقصنا عن الشعب الياباني الذي لم يكن يملك غداة انتهاء الحرب العالمية الثانية إلا مدناً خربة، وصناعةً مدمرة، فشق طريقه بعزيمة صادقة، وإرادة صارمة، ووسائل مكافئة للحاجة والأهداف، حتى غزت صناعته أسواق العالم. وأصبح الغرب يبحث عن سبيل اللحاق بهذا الشعب. لقد استطاع الشعب الياباني بما عنده من عزيمة صادقة وإرادة قوية أن ينهض ويخرج من كبوته.

وكذلك الشعب الألماني، صاحب أقوى دولة أوربية اقتصاديّاً. كيف خرج من الحرب العالمية الثانية؟ ، لقد خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الثانية وهي تحمل ذكرى عشرة ملايين قتيل، ولا تمتلك إلا أنقاض حضارة سادت ثم بادت، ولكنها بالإرادة القوية والعمل الجدي البصير المستمر تغلبت على مشاكلها، وتقدمت، واستعادت كل قوتها وأكثر، وأصبحت في سنوات معدودات أهم دولة في أوروبا، وواحدة من أهم دول العالم في الصناعة والتجارة والاقتصاد والتقدم العلمي، وأيضاً في أثرها في حركة المجتمع البشري! ، وأمتنا بحاجة أن نكون صاحبة إرادة قوية، لعلاج مشكلاتها، ونهضتها وعودتها إلى عزها ومجدها، والنصر على أعدائها.

---

(١) انظر: مقال بعنوان ((ترتيب الدول اقتصاديا))، جرار آلاء، موسوعة موضوع كوم على النت على الرابط: **http: //mawdoo٣. com/** تاريخ الإضافة: ١٢ مايو ٢٠١٤ م حسب ما ورد عن صندوق النقد الدولي لعام ٢٠١١، وهو قائمٌ حسب الناتج المحلي الإجمالي لكل دولةٍ.

المطلب الثالث: وسائل تقوية الإرادة.

قلنا إن الأمة الإسلامية قادرة على أن تنهض من تخلفها وعجزها وهوانها وواقعها الراهن، كما نهضت الأمم الأخرى، وتتغلب على مشاكلها، وتستفيق من غفوتها، بالإرادة القوية والعزيمة الصادقة، ولكن ما الوسائل المعينة على تقوية الإرادة؟، تتمثل أهم هذه الوسائل في الوسائل الأربع التالية:

أولا: الإيمان بالله تعالى الإيمان بالله والتوكل عليه: فالتوكل على الله تعالى هو ((صدق التجاء القلب إلى الله جل وعلا بتفويض الأمر إليه بعد فعل السبب. وذلك يجمع شيئين: التفويض، وفعل الأسباب))(١)، فتفويض الأمر لله تعالى بعد فعل الأسباب وحسن الظن به سبحانه وتعالى، هو التوكل المطلوب منا، ((وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور إذا كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب! وهذا فاسد))(٢)، ولنا في قصة موسى وقومه خير شاهد، حيث أنه لما من الله عليهم بالنجاة من فرعون وقومه وأسرهم واستبعادهم، فذهبوا إلى بيت المقدس وطنهم ومسكنهم، وكان الله قد فرض عليهم جهاد عدوهم ليخرجوه من ديارهم، فوعظهم موسى عليه السلام، وذكرهم ليقوموا بجهاد عدوهم، ولكنهم ضعفوا وخافوا، وتعذروا من مواجهة العدو مع أن الله وعدهم بالنصر، وليس بينهم وبين النصر على العدو إلا أن يعزموا ويقدموا عملاً بالأسباب، ثم أمَرَهم بعدة هي أقوى العدد، فقال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ

(١) شرح العقيدة الواسطية، آل الشيخ صالح بن عبدالعزيز، الموسوعة الشاملة. ، ص١٣٧.

(٢) العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز، ٣٥١/٢.

﴿فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة: ٢٣]، فإن في التوكل على الله -وخصوصاً في هذا الموطن- تيسيراً للأمر، ونصراً على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، ولكن لم ينفع فيهم ذلك، وقالوا اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون، فبئس الكلام وأقبح الرد، فحرم الله عليهم دخولها، وعاقبهم بالتيه في الأرض أربعين سنة. ولعل الحكمة في هذه العقوبة أن يموت أكثر هؤلاء الذين قالوا تلك المقالة، التي تدل على أنهم ليس عندهم صبر ولا ثبات، وألفوا الاستعباد للعدو، ولم تكن عندهم همم وعزائم لمواجهة العدو، حتى تظهر ناشئة جديدة تتربى عقولهم على قهر الأعداء، وعدم الاستعباد والذل المانع من السعادة(١).

ثانيا: التربية الإيجابية: من وسائل إيجاد الإرادة وتقويتها، التربية الإيجابية التي نربي عليها أبناء الأمة من خلال وسائل التربية والتعليم والتوجيه، من بيت ومدرسة ومسجد وجامعة وإعلام وسائر وسائل الثقافة والدعوة والتربية والتعليم.

والتربية في اللغة: الزيادة النمو، يقال ربى يربو بمعنى زاد ونما. ويقال أيضا رَبِيَ يربى على وزن خفي ويخفى، ومعناها: نشأ وترعرع(٢)، يقول الإمام البيضاوي ((الرب في الأصل بمعنى التربية، وهي تبليغ الشيء إلى كماله

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، ص٢٢٧-٢٢٨

(٢) انظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي أحمد بن محمد الفيومي، أبو العباس، بدون، مادة (ربا)، ص٨٣.

شيئا فشيئا، ثم وصف به تعالى للمبالغة))[١]، فيكون معنى التربية في اللغة نمو الشيء شيئاً فشيئاً، حتى يبلغ حد الكمال والتمام.

والتربية اصطلاحاً: ((تنمية الجوانب المُختلفة لشخصية الإنسان، عن طريق التعليم، والتدريب، والتثقيف، والتهذيب، والممارسة؛ لغرض إعداد الإنسان الصالح لعمارة الأرض وتحقيق معنى الاستخلاف فيها))[٢].

والإيجابية: نسبة إلى الإيجاب والإلزام وهو الثابت، وهو يقابل القبول، وفي النكاح قول الولي للزوج: زوجتك. وفي البيع قول البائع للمشتري بعتك. والإيجاب ضد السلب، وهو النفي، فالإيجابية أي الثابتة والمقبولة[٣]، وقد عرف علماء النفس التربية الإيجابية بأنها ((عبارة عن نهج يهدف إلى تنمية مهارات الأطفال والتحكم بسلوكياتهم بطريقة بناءة وغير مؤذية))[٤]، فتربية الأمة لأبنائها التربية الإيجابية، نعني بها: تربية الأجيال القادمة على الإرادة والإقدام والفعالية والإبداع والإنشاء والتوجّه، فتؤدّي مهامها في الحياة وتسهم في نهضة مجتمعاتها. وهي أيضاً أن ندرب الشخص على مقاومة الأهواء والشهوات، وتربية الإرادة في نفسه التي تكبح جماح الأهواء والشهوات، فالإنسان قد يفشل في المرة الأولى من أول مواجهة وينهار، لكنه بالتربية يصمد في المرة التي بعدها نعم لا يستطيع الصمود إلى النهاية أو قد لا يصمد إلى النهاية ويسقط، ولكنه مع النصيحة

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م، ٢/٣٦٤.

(٢) أصول التربية الإسلامية، دار الفكر المعاصر، النحلاوي عبدالرحمن، بيروت، ط (٣) ١٤٢٠هـ، ص١٩.

(٣) انظر معجم لغة الفقهاء، موقع يعسوب، ص٩٨

(٤) مقال: ماذا تعني التربية الإيجابية للأطفال، الشمراني حسن، موقع طفولة، على الرابط: http: //tufoola. com

والمتابعة والتوجيه وشد الأزر، ومع الجو الطيب تتكون عنده الإرادة وتنمو الإرادة القوية التي تساعده في الوقوف أمام جيوش التحديات والنكبات والمعاصي والشهوات.

ثالثا: الحزم: الحزم من الأمور المهمة في إيجاد الإرادة وتقويتها، وعدم التردد والتحير والتلكؤ إذا ظهر للمسلم رجحان الأمر شرعاً، وأنه من طاعة الله، بل عليه الإقدام والإسراع، يقول تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وذلك بأن نأخذ بجانب الحزم والعزم، والنبي صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد لما استشار القوم، فأشار بعضهم بأمر، وأشار الآخرون بأمر آخر في الخروج، فمال النبي صلى الله عليه وسلم إلى قول الذين قالوا بالخروج من المدينة لملاقاة العدو، ولبس لأمته، فكأن بعضهم وجد في نفسه أو ندم، وقالوا: ربما أكرهنا النبي عليه الصلاة والسلام، فراجعوه في الأمر مرة أخرى، لكن النبي عليه الصلاة والسلام قد اتخذ القرار، ورأى فيه المصلحة الشرعية بعدما شاور، فقال لهم " إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأَمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ"[1]، وهذا درس في مسألة رد التحير والاضطراب والتردد، والإقدام على الأمر بالحزم والعزم[2].

ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علمنا هذا المفهوم في حديث مهم، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، مسند جابر بن عبدالله، ح (١٤٨٢٩) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره وهذا إسناد على شرط مسلم. (مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، ٣/٣٥١).

(٢) انظر: مقال بعنوان ((قوة الإرادة وعلو الهمة)) المنجد محمد صالح، على الرابط: http: //www. islamdoor. com/k/kowa. htm

"الْمُؤْمِنُ الْقَوِىُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِى كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلاَ تَعْجِزْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَىْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّى فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا. وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّهِ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ "[١]، والمؤمن القوي قوي في كل شيء في إرادته وفي دينه وفي إيمانه وفي بدنه وفي مهاراته وقدراته. " احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز" يعني: اقدم ولا تتردد ولا تتحير ولا تتخاذل ولا تتكاسل، فمادام رأيت فيه المصلحة الشرعية، وأخذت بالأسباب، فاستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شيء بعد كل هذا، فلا تقل: لو أني فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان[٢]. فإذا كانت الإرادة القوية تقتضي الحزم والإقدام والجرأة والشروع في العمل، لا التردد والحيرة والاضطراب.

رابعاً: الرغبة الصادقة: سبق القول إلى أن من معاني الإرادة الرغبة، وخلصنا، أن الإرادة لغة: هي المشيئة والعزيمة المؤكدة، وقوّة في النفس وحاجة وأمل، تدفع المرء أن يفعل، أو لا يفعل. والصدق لغة: ((الصاد والدال والقاف: أصلٌ يدلُّ على قوّةٍ في الشيء، مِن قَولٍ وغَيرِه، ومن ذلك الصِّدْق: خلاف الكَذِب، سمِّيَ بذلك لقوّته في نفسه، ولأنَّ الكذِبَ لا قُوَّة له، بل هو باطلٌ))[٣] فالرغبة الصادقة، هي العزيمة القوية، وكما قيل " أينما

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب (القدر) باب (الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله)، حديث رقم (٦٩٤٥).

(٢) انظر: إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي، ٧٧/٨، والمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٢٥٠/١٦، ١٠٤/١

(٣) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مادة (صدق) =

تكون الإرادة يوجد مخرج"، وهي مقولة قديمة، ولكنها صحيحة جداً، فكلما كانت لدى الإنسان رغبة صادقة في تحقيق أمر ما، تحولت هذه الرغبة إلى فكرة، ثم تتحول الفكرة إلى أمل، ثم تنتقل لتصبح اعتقاداً يتغلل في أعماق نفسه، فيزيد من قوة إرادته، فتدفعه دفعاً نحو تحقيق ما يريد(١).

وكلما كانت الأمة لديها إرادة جازمة تبعتها برغبة قوة في تحقيق مرادها، والوصول إلى غايتها التي تريد.

= ٣٣٩/٣، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(١) انظر: أسرار القوة الذاتية، الفقي، إبراهيم، ص٥٨، شركة ميديا بروتك، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

المبحث الثاني: أثر الإرادة في نهضة الأمة.

المطلب الأول: أثر الإرادة في بعث الهمم.

الهمة في اللغة: من الهَمُّ: وهو الحَزَنُ، وجمعه: هُمومٌ، وما هَمَّ به في نفسه. والهِمَّةُ بالكسر ويُفْتَحُ: ما هُمَّ به من أمْرٍ ليُفْعَلَ[١]، وقيل هي ((قوة راسخة في النفس، طالبة لمعالي الأمور، هاربة من خسائسها))[٢].

والهمة في الاصطلاح: ((إجماع قلب المهتم وجمعه لنيل مقصد بالتوجه إليه دون غيره من غير قلب قاصد لسواه))[٣]، وقيل هي ((توجه القلب وقصده بجميع قواه الروحانية إلى جانب الحق تعالى أو غيره لحصول الكمال له أو لغيره))[٤]، فالهمة إذن عمل أو قوة قلبية تتوجه لتنفيذ العمل وحصوله وتكون قبل العمل حتى يحصل وكلما كانت همة المرء عالية أو كبيرة، طلب الكمال وحرص على الأمر. والهمة مقترنة بالإرادة الجازمة، فلا إرادة بلا همة، والهمة العالية دليل على الإرادة الصادقة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ((أَنَّ الْهِمَّةَ الَّتِي لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا فِعْلُ

---

(١) انظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأميرية، ١٣٠١هـ الموسوعة الشاملة، مادة (هم) ١٥١٢/١.

(٢) تاج العروس، الزبيدي، مادة (هم) ١٢٠/٣٤.

(٣) سر العالمين وكشف ما في الدارين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية – بيروت لبنان ١٤٢٤ هـ ط: الأولى، ت: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي، ص٤٣.

(٤) جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢١ هـ ط: الأولى، ٣٣٠/٣.

مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْهَامُّ لَيْسَتْ إرَادَةً جَازِمَةً وَأَنَّ الْإِرَادَةَ الْجَازِمَةَ لَا بُدَّ أَنْ يُوجَدَ مَعَهَا مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ))(١)، والإرادة الجازمة التي تبعث على العمل، ولابد أن تسبقها همة عالية، يقول ابن القيم: ((العلم والعمل توأمان أمهما علو الهمة))(٢)، فالهمة والإرادة بينهما صلة كبيرة وعلاقة، حيث يقترن كلاهما بالآخر، فصاحب الهمة عنده إرادة جازمة، وصاحب الإرادة لديه همة عالية.

وعلو الهمة يقتضي أموراً منها: الجدية في العمل وعدم التواني والكسل إذا دعا الداعي من الله تعالى إلى عمل تسابقوا إليه، فإذا نادى المنادي حي على الصلاة على الفلاح، أقبل صاحب الهمة العالية على الصلاة مباشرة دون تأخر، وإذا أراد أن يبيع فأذن المؤذن لم يبع ولم يكمل التفاوض ولا المساومة وترك ذلك للصلاة. والتكاسل والتقاعس مما ينافي علو الهمة وعكسه الجد وعدم التواني، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ بالله من العجز والكسل(٣)، حيث يقول "اللهم اني أعوذ بك من العجز والكسل"(٤). والكسل: ترك الشيء مع القدرة على الأخذ في عمله،

---

(١) مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: أنور الباز و عامر الجزار، دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥م.، ٦٤٦/٧

(٢) الفوائد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ – ١٩٧٣، ٧٤٧/٣

(٣) انظر: مقال بعنوان ((قوة الإرادة وعلو الهمة))، المنجد محمد صالح، على الرابط: http: //www. islamdoor. com/k/kowa. htm.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (ما يتعوذ من الجبن)، حديث رقم (٢٨٢٣)، ومسلم في صحيحه في كتاب (العلم) باب (التعوذ من العجز والكسل =

والعجز عدم القدرة[١]. وتعتمد نهضة الأمة على عدة مقومات لابد من توفرها لنجاح هذه النهضة، وعلى رأسها المقومات البشرية، فالأمة التي تسعى للوصول إلى أعلى مراتب الرقي الحضاري يجب أن تضم أفراداً ذوي همم عالية، يسعون نحو المعالي ولا يدخرون جهداً من أجل تحقيق الأهداف السامية لنهضة أمتهم، حيث تدفعهم الهمة العالية إلى العمل، الذي يكون بالإرادة الجازمة التي تحلوا بها، فتحولت إلى عمل دؤوب مخلص. والمؤمن إذا صدق في همته وإرادته كتب له الأجر عند الله تعالى، حتى وإن لم يعمل العمل، لعارض قاهر منعه، يقول صلى الله عليه وسلم: " من همَّ بحسنة، فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة"[٢]، ومن صدق في نيته وهمته لطلب الشهادة، وعمل ما استطاع لنيل الشهادة بلغه الله الشهادة وإن مات على فراشه، يقول صلى الله عليه وسلم: "من سأل الله الشهادة بصدقٍ، بلَّغه الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه"[٣]، وقد تواردت نصوص القرآن والسنة على حث المؤمنين على ارتياد معالي الأمور، والتسابق في الخيرات، وتحذيرهم من سقوط الهمة، وتنوعت أساليب

= وغيره)، حديث رقم (٧٠٤٨).

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ٣٦/٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (من هم بحسنة أو بسيئة)، حديث رقم (٦٤٩١).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الأمارة باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى، ح(١٩٠٩).

القرآن في ذلك. منها[1]: ثناؤه سبحانه على أصحاب الهمم العالية، وفي طليعتهم الأنبياء والمرسلون، وفي مقدمتهم أولو العزم من الرسل[2]، وعلى رأسهم خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ومنها: أنه عبر سبحانه عن أوليائه الذين كبرت همتهم بوصف الرجال في مواطن البأس والجلد والعزيمة والثبات على الطاعة، والقوة في دين الله، يقول تعالى: ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النور: ٣٧]، ومنها: ذم ساقطي الهمة وتصويرهم في أبشع صورة يقول تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

أما السنة الشريفة فمليئة بالكثير من الصور[3]، فقد جاء الحث فيها

---

(١) انظر: علو الهمة، المقدم محمد أحمد إسماعيل، ص١٢٦، دار طيبة الخضراء مكة المرمة، ط ٨، ١٤٢٠هـ.

(٢) ((هم خمسة منهم" أي: من الرسل "أولو" أي: أصحاب "العزم" يعني: الجزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمعة، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم؛ لذا خصوا بالذكر "في سورة الأحزاب" يعني: قوله تعالى: {وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم} [الأحزاب: ٧])) (معارج القبول، الحكمي، ٢/٦٧٩).

(٣) انظر: المقدم محمد، علو الهمة، ص١٢٦.

على علو الهمة، منها قول النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "إن الله تعالى يحب معالي الأمور، ويكره سفاسفها"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم " لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا"[2]، وقوله " إذا سأل أحدكم فليكثر، فإنما يسأل ربه"[3]، وقوله أيضاً " إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى"[4].

أسباب انحطاط الهمم[5]:

حتى نكون أبعد عن انحطاط الهمم لابد أن نتعرف على أسباب ضعف الهمة وانحطاطها، وقد ورد ذكر هذه الأسباب في الأحاديث النبوية الشريفة، وذكرها بعض العلماء من السلف، وسوف أذكر بعضاً منها:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب (الايمان)، الحديث رقم (١٥٣)، وفي المعجم الكبير، الحديث رقم (٢٨٢٦)، وفي الأوسط الحديث رقم (٢٩٤٠) وقال الحاكم: هذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (الاستهام في النداء)، حديث رقم (٦١٥)، ومسلم في صحيحه في كتاب (الصلاة) باب (تسوية الصفوف)، حديث رقم (١٠٠٩).

(٣) أخرجه ابن حبان في سننه في كتاب (الرقائق) باب (الأدعية)، حديث رقم (٨٨٩)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. (صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ – ١٩٩٣، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ١٧٢/٣).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي) باب (درجات المجاهدين في سبيل الله)، حديث رقم (٢٧٩٠).

(٥) انظر: المقدم محمد، علو الهمة، ص٣٣٢، مرجع سابق.

١-الوَهْن: (الضعف في العمل والأمر وكذلك في العظم ونحوه) [١]، كما فسره الرسول صلى الله عليه وسلم (حب الدنيا، وكراهية الموت)[٢].

٢-اهدار الوقت الثمين في فضول المباحات: يقول صلى الله عليه وسلم: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ"[٣].

٣-العجز والكسل: والعجز: ((موخَّر الشيء، يؤنَّث ويذكَّر. وهو للرجل والمرأة جميعاً. والجمع الأعجازُ. والعَجيزَةُ، للمرأة خاصة. والعَجْزُ: الضعف))[٤]، وقال المناوي في تعريفه ((أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة))[٥]، والكَسَلُ: التثاقُلُ عن الأمرِ والفتور فيه. أو هو التَّثاقُل عما لا ينبغي أَن يُتَثاقَل عنه. وقد كَسِلَ بالكسر، فهو كَسْلانُ، وقومٌ كُسالى وكَسالى[٦]، وقيل الفرق بين العجز والكسل: ((أن الكسل: ترك

(١) لسان العرب، ابن منظور، مادة (وهن)، ١٣/٤٥٣.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي، باب ما جاء في الرقاق وأن لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث (٦٣١٢)

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين — بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ، مادة (عجز)، ١/٤٤٧

(٥) التوقيف على مهمات التعريف، المناوي محمد عبد الرؤوف، ت: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، ص٥٠٤

(٦) الصحاح، الجوهري، مادة (كسل)، ٢/١١٥، والفيروزأبادي، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، والقاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأميرية، =

الشيء مع القدرة على فعله، والعجز: عدم القدرة عليه))[(١)]، وقال النووي: ((العجز هو عدم القدرة على الخير وقيل هو ترك ما يجب فعله والتسويف به. أما الكسل فهو عدم انبعاث النفس للخير وقلة الرغبة مع إمكانه))[(٢)]، والصحيح أن أصل الكسل ترك العمل لعدم الإرادة فإن كان لعدم القدرة فهو العجز[(٣)]، أما الكسل فقد أجمع العلماء على أنه ضعف النية وإيثار الراحة للبدن على التعب، وإنما أستعيذ منه؛ لأنه يبعد عن الأفعال الصالحة للدنيا والآخرة. والعجز هو ما يستطيع أن يعمله إذا أراد[(٤)]، وقيل الكسل ((هو عدم انبعاث النفس بالخير وقلة الرغبة فيه مع إمكانه))[(٥)].

فنستخلص مما سبق: أن العجز والكسل من آفات الإرادة الجازمة وانحطاطها، لأنهما ضعف في البدن، وتثاقل عن العمل وتركه لعدم الإرادة أو عدم القدرة عليه، وتثبيط عنه. والمسلم يستعيذ من ذلك دائماً، لأنه مما يصده عن تحقيق أهدافه وغاياته، ويصده عن الفاعلية التي يتحلى بها

= ١٣٠١هـ الموسوعة الشاملة، مادة (كسل)، ١/١٣٦٠، و لسان العرب، ابن منظور، مادة (كسل)، ٥٨٦/١١

(١) معجم المناهي اللفظية، أبو زيد بكر، ١٤١٧هـ، دار العاصمة، ط (٣)، مادة (كسل)، ٦٣/٣١

(٢) المنهاج، النووي، ٢٨/١٧

(٣) انظر فتح الباري، ابن حجر، ١٧٤/١

(٤) انظر شرح صحيح البخارى . لابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، دار النشر: مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م الطبعة: الثانية، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، ٣٦/٥، ٤٥/٩

(٥) الديباج، السيوطي، الموسوعة الشاملة، ٦١/٦

المؤمن، وقد بين سبحانه أن المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعذارهم التي اعتذروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر[1]، يقول تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [التوبة: ٤٦]، فالمرء يعذر إذا أخذ بالأسباب ومنعه مانع خارج عن إرادته وقدرته، أما إذا عجز أو عجل لعدم إرادته أو لعدم انبعاث نفسه للعمل فهذا لا يعذر، مما يبتلى به المرء والعياذ بالله تعالى، لذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من العجز والكسل في دعائه، لأنه يمنع من العمل ويثبط الهمة والإرادة ويضعفها، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال "كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والهرم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات "[2].

٤-التسويف والتمني: التسويف: التأخير، من قولهم: سوف أفعل كذا[3]. والتمني ((حديث النفس بما يكون وبما لا يكون. وقال ابن الأثير: التمني تشهي حصول الأمر المرغوب فيه))[4]، والتسويف والتمني من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ابن سعدي، ص٣٣٩

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي)، باب (ما جاء في التعوذ من فتنة المحيا والممات)، حديث رقم (٦٣٦٧).

(٣) المحيط في اللغة، ابن عباد، مادة (سوف) ٢٧٩/٢.

(٤) تاج العروس، الزبيدي، مادة (مني) ٥٦٢/٣٩.

صفات بليد الحس، وعديم المبالاة، الذي كلَّما همَّت نفسه بخير، إما يعبقها بسوف حتى يفجأه الموت، وإما يركب بها بحر التمني، وهو بحر لا ساحل له، يدمن ركوبه مفاليس العالم. والمسلم قوي الإرادة والهمة، ليس للتسويف والتمني إليه سبيل، لأنهما من المعوقات التي تمنع من العمل وحصوله، وتحقيق الأهداف.

٥-مصاحبة ضعيف الهمة: لاشك أن المرء على دين خليله، فالصاحب ساحب في الخير والشر كما قيل، ولذلك كان له كبير الأثر في أخلاق وسلوك صاحبه، فمن يصحب شخصاً عالي الهمة، وقوية الإرادة في العمل والسلوك، فسيكون مثله، والعكس بالعكس، فإذا صاحب سافل الهمة والإرادة فلاشك أنه سيتأثر به، ويكون مثله في ضعف الهمة والإرادة، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم " إنما مَثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إما أن يُحْذِيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة"(١).

إن أصحاب الهمة العالية هم الذين يقوون على البذل في سبيل المقصد الأعلى، ويبدلون أفكار العالم، ويغيرون مجرى الحياة بجهادهم وتضحياتهم، ومن ثَمَّ فهم القلة التي تنقذ الموقف، وهم الصفوة التي تباشر مهمة "الانتشال السريع" من وحل الوهن، ووهدة الإحباط.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب (بدء الوحي)، باب (المسك)، حديث رقم (٥٥٣٤).

المطلب الثاني: أثر الإرادة في الحث على العمل

سبق القول أن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى أعطانا القدرة وأعطانا الإرادة، ولكن لا يقع إلا ما يريد الله، فلم يسلبنا الله الإرادة، ولا القدرة، بل إن العبد إذا أراد أن يفعل شيئاً، فإن له الحرية في الفعل، وإذا أراد الله وقدر وقوع ذلك وقع بإذن الله تعالى. فليس العبد مجبوراً على أفعاله أبداً. والله سبحانه وتعالى أعطانا الإرادة وأراد منا أن نعبده سبحانه وتعالى وهو لا يقع في ملكه إلا ما يريد، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾ [البقرة: ١١٧]، وقلنا أن الإرادة هي التحول من الفكرة إلى العمل ومن المثالي إلى الواقعي ومن الباطن إلى الظاهر، لذلك كان العمل قوة في الإرادة، والكسل ضعف فيها. والإرادة الجازمة توجب وقوع الفعل، وأما الإرادة غير الجازمة فلا توجب وقوع الفعل، فإذا كانت إرادة الإنسان جازمة، وفعل الإنسان ما يقدر عليه، أثيب على فعله، ولا عتب عليه، لأنه فعل ما يقدر عليه، وإذا كانت الإرادة غير جازمة، فما يعمله من عمل يعتبر هماً، وليس إرادة. وعلى مقدار إيمان الإنسان تكون قوة إرادته، وبمقدار انحرافه وإتباعه لأهوائه وشهواته ونزواته وغرائزه تكون ضعف إرادته، لأن الشهوة تجعله ضعيف الإرادة مسوقاً إلى تحقيق مطالب النفس الأمارة بالسوء بدون أن يقاوم. فمن صدق التوكل على الله تعالى أن يأخذ المسلم بالأسباب والمسببات العملية – مع تفويض الأمر لله تعالى والاعتماد عليه – التي تحقق له ما يريد، وليس بالتواكل والتمني الفارغ، والكسل والعجز. والله تعالى في كتابه دائماً يقرن بين

الإيمان والعمل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

والله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها، حيث يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٢]، وقد ذم الله تعالى من يقول ولا يفعل، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف: ٢-٣]. ومن أصول عقيدتنا أن الإيمان لا يصح إلا بالعمل، والإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، أو يزيد بالعمل، وينقص بتركه(١). وأهل السنة قاطبة يقولون: " أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل"(٢)، وعرفوا الإيمان بأنه "اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان"(٣)، ومن المؤسف أن هذه العقيدة النبوية الإيمانية الصحيحة غابت عند كثير من المسلمين وحل محلها عقيدة المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، والإيمان في القلب، وإن كان لا بد فنطق اللسان، أما العمل فلا يشترط في الإيمان،

---

(١) انظر: معارج القبول، الحكمي، ١/٢٧٧.

(٢) المرجع السابق، ١/٦٠٥.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل))، آل الشيخ صالح، الموسوعة الشاملة، ١/٤٠٢.

وليس جزءاً منه، بل هو من كمال الإيمان، وأن الإيمان لا يضر معه ذنب[1]. هذه العقيدة الباطلة أسهمت بشكل فعال في ضعف إرادة كثير من المسلمين عن العمل، وأصابهم الوهن وضعف الهمة، حيث قلت منهم الطاعات، واكتفوا ببعض الواجبات، ووقع كثير منهم في المعاصي دون خوف أو وجل، وذلك لقناعتهم أن الإيمان لن يتضرر بما يفعلوا، وما قول العاصي لمن ينصحه في معصيته "الله غفور رحيم، الإيمان في القلب" إلا دليل على أن هذا الفكر الضال الذي انتشر بين الكثير دون أن يدركوا أنه مخالف لعقيدة السلف.

إن واقعنا المعاصر الذي نشكو منه، هو حصيلة الانحراف الذي أصاب مفاهيمنا وأفكارنا، وما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم إنما (يرشح) من هذا (المستنقع) الذي اجتمع فيه المرجئة والجبرية، فأما المرجئة فقد صار الإيمان بسببها هو مجرد التصديق والاقرار بلا عمل يعمل من مقتضيات التصديق والاقرار، وأما الجبرية فقد صار الإيمان بالقدر بسببها تنصلاً من كل مسئووليه، لأنه لا إرادة ولا اختيار! ! ، وهكذا بين الإرجاء والجبر نمت (القابلية) للاستعباد، و(قتلت) الهمة للتغيير، وصارت الأفكار والمفاهيم المنحرفة تشكل أغلالاً تمنع جماهير أمتنا من التحرك والانطلاق نحو التغيير[2]. ولا شك أن (إحياء) هذه الأمة لن يكون إلا في الظروف نفسها

---

(١) انظر: الإيمان، ابن تيمية تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الرابعة - ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م، ص٢٩٧-٢٩٧.

(٢) انظر: مفاهيم ينبغي أن تصحح، قطب محمد، الخامسة ١٤. ٩ هـ، دار الشروق . مصر، ص١٩٨.

التي ولدت فيها. وحين وُلدت هذه الأمة "كان ذلك الميلاد صادراً عن عقيدة واضحة قوية، ولسان يستمد من سحر القرآن تأثيره ليحيي أمه كادت أن تموت، فإذا بها تنطلق مكتسحه العالم بحضارة وتقدم"(١). إن تصحيح المفاهيم هو مفتاح التغيير في كل تجمع بشري يُراد إخراجه من عباده العباد إلي عبادة الله وحده، ومن ظلمات الجاهلية إلي نور الإسلام(٢). إن الأمة الإسلامية لن يكون لها مكان على خريطة المستقبل إلا إذا تاب أبناؤها من خطيئة الكلام الكثير والعمل القليل، وإلا إذا شمر كل منهم عن ساعديه وتعبد الله في ليله ونهاره بالعمل الكثير، وبدون ذلك ستبقى هذه الأمة بين مطرقة الغرب الحاقد وسندان أفعال أبنائها العاجزة، والتي لا تعدو في كثير من الأحيان مجموعة من الكلمات! ، إن التخلف الذي تعيشه أمتنا إنما هو في حقيقته نتيجة لازمة لكسلنا وعجزنا عن العمل والمبادأة في أي ميدان، ولا طريق لنا إلى التقدم إلا أن نكون على يقين أن الفعالية هي طريق الأمم إلى النهضة والحضارة. ولو رجعنا إلى التاريخ لوجدنا أن حركة المسلمين الأوائل في سبيل بناء الأمة الإسلامية والحضارة الإسلامية تقوم على أساس أن العمل وحده هو الذي يخط مصير الأمة في واقع الحياة، وأن عرق الأحياء في عمل جماعي مشترك هو الذي يتكفل ببناء حضارة هذه الأمة، وأن وجود الحق في الأمة وحتى الانتساب إليه لا يكفي في التمكين له في الأرض، إلا أن يكون من يحمل هذا الحق (يعمل) من أجل تمكينه ونصرته. إن المسلمين يمتلكون نظرية صحيحة ومنهجاً متكاملاً، منّ الله به عليهم يوم أكمل لهم الدين وأتم عليهم نعمته، ولكنهم

(١) شروط النهضة، ابن نبي مالك، دار الفكر . دمشق، طبعة ٢٠١٢م، ص٢٥.

(٢) انظر: الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، البدري محمد محمد، دار الصفوة، القاهرة، الطبعة ١، ١٤١٣هـ، ص٢٣

في واقع الحياة يعانون من الاستلاب الحضاري وانطفاء الفاعلية، ولذلك فإنهم يزحفون وراء غبار الركب البشري مع الزاحفين المنقطعين. إن التقدم أو التخلف لا يعتمد على الأفكار الصحيحة فقط، وإنما يعتمد أيضاً على العمل الذي يعمله أفراد الأمة في سبيل تحقيق أهدافها(١).

المطلب الثالث: أثر الإرادة في التغيير ونهضة الأمة:

التغيير: من باب التفعيل، وهو إحداث شيء لم يكن قبله، أو هو انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى(٢)، وتغيير حال الأمة من التخلف والتأخر إلى النهضة والتقدم، لا يكون إلا بالإرادة الجازمة، التي تعمل على تغيير الواقع وتحويله من التخلف إلى التقدم، ومن الرقاد إلى اليقظة، ضمن قانون التغيير الإلهي الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في آيتين صريحتين، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال: ٥٣-٥٤]، والثانية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١]، يقول الإمام الطبري في تفسيره للآية الأولى: ((يقول

(١) انظر: المرجع السابق، ١٣٩-١٤١.

(٢) انظر: جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، دار الكتب العلمية، الأحمد، ١/٢٢٤، و التعريفات، الجرجاني علي بن محمدبن علي، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ص٨٧.

تعالى ذكره: وأخذنا هؤلاء الذين كفروا بآياتنا من مشركي قريش ببدر بذنوبهم، وفعلنا ذلك بهم، بأنهم غيروا ما أنعم الله عليهم به من ابتعاثه رسوله منهم وبين أظهرهم، بإخراجهم إياه من بينهم، وتكذيبهم له، وحربهم إياه، فغيرنا نعمتنا عليهم بإهلاكنا إياهم، كفعلنا ذلك في الماضين قبلهم ممن طغى علينا وعصى أمرنا))[١]، فهذا يعني أن الله تعالى غيّر حال كفار مكة بسبب مقابلتهم للنعمة التي أنعم الله تعالى عليهم ببعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم منهم، ويعرفونه ويعرفون صدقه ونسبه، بالتكذيب، وكفر النعمة؛ فغير الله ما بهم من الخير والعز والسيادة، إلى الذل والهوان والهلاك، سنة الله فيهم وفي الأمم السابقة قبلهم التي عاقبها الله تعالى بسبب تكذيبها لرسلها، ولم يعتبروا بهم!. ويؤكد الشيخ محمد رشيد رضا على هذه السنة الثابتة التي سنها الله تعالى في خلقه في تفسيره، حيث يقول ((أرشدنا سبحانه في محكم آياته إلى أن الأمم ما سقطت من عرش عزها، ولا بادت ومحي اسمها من لوح الوجود إلا بعد نكوبها عن تلك السنن التي سنها الله على أساس الحكمة البالغة، إن الله لا يغير ما بقوم من عزة وسلطان ورفاهة وخفض عيش وأمن وراحة، حتى يغير أولئك ما بأنفسهم من نور العقل، وصحة الفكر، وإشراق البصيرة، والاعتبار بأفعال الله في الأمم السابقة، والتدبر في أحوال الذين جاروا عن صراط الله فهلكوا، وحل بهم الدمار، ثم لعدولهم عن سنة العدل، وخروجهم عن طريق البصيرة والحكمة، حادوا عن الاستقامة في الرأي، والصدق في القول، والسلامة في

---

(١) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير(٢٢٤ – ٣١٠)، مكتب التحقيق بدار هجر، دار هجر، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ، ١٤/١٩.

الصدر، والعفة عن الشهوات، والحمية على الحق، والقيام بنصره، والتعاون على حمايته، خذلوا العدل، ولم يجمعوا هممهم على إعلاء كلمته، واتبعوا الأهواء الباطلة، وانكبوا على الشهوات الفانية، وأتوا عظائم المنكرات، خارت عزائمهم، فشحوا ببذل مهجهم في حفظ السنن العادلة واختاروا الحياة في الباطل على الموت في نصرة الحق، فأخذهم الله بذنوبهم، وجعلهم عبرة للمعتبرين. هكذا جعل الله بقاء الأمم ونماءها في التحلي بالفضائل التي أشرنا إليها، وجعل هلاكها ودمارها في التخلي عنها. سنة ثابتة لا تختلف باختلاف الأمم، ولا تتبدل بتبدل الأجيال، كسنته تعالى في الخلق والإيجاد، وتقدير الأرزاق، وتحديد الآجال))(1)، ويخبر تعالى أيضاً في الآية الثانية عن تمام عدله، وقسطه في حكمه، بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: ١١]، وقوله: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنفال: ٥٤]، أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ ١٩٩٠ م، ٣٩/١٠.

في ذلك، بل كانوا هم الظالمين[١]. وسنة الله في تغيير النعم تجري على الجماعة المسلمة، فما دامت مستمسكة بشرع الله في عملها وبالاعتصام بحبل الله في وحدتها فإن نعم الله عليها بالتأييد والنصر ودفع الأذى عنها باقية، فلما غيرت ذلك فلم تتقيد بشرع الله في عملها وفرطت في وحدتها وبدلوا وغيروا، سلط الله عليهم الأعداء فتكالبوا على الأمة وأذلوها وفرقوا شملها، ونهبوا خياراتها[٢]، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

ذلك خبر الله تعالى، وخبر الله تعالى صادق، ولكن الذي نراه منذ قرون هو انهزام المسلمين، وتوالي انتصار النصارى من أهل الكتاب، بل إن بلية البلايا أن ينتصر اليهود، فهل أخلف الله وعده؟! كلا، ما أخلف الله موعداً، وإن وعد الله لحق، وخبره صادق، ولكن الذي تغير هو حال المسلمين، فقد اشترطنا لتحقق نصر الله أن يكونوا مؤمنين بالله حق الإيمان، مذعنين لأحكامه حق الإذعان، متعاونين فيما بينهم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فعندئذ يكونون أنصار الله تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾ **[الحج: ٤٠]، فهل كان المسلمون على هذا الشرط عندما انهزموا؛ لقد تغيرت حالهم، فلم**

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي[٧٠٠ -٧٧٤ هـ] ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، ٤/٧٨.

(٢) انظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبد الكريم زيدان، ص٢٠٣، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

يذعنوا لأحكام الله تعالى، ونقص إيمانهم به، ولم يتواصوا بالحق والصبر، ولم يعودوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، بل صار بأسهم بينهم شديداً، وأخذ يأكل بعضهم بعضاً، وبذلك تغيرت حالهم فغير الله تعالى بهم، كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، فإذا أردنا النصر على الأعداء والنهضة والتقدم، فعلينا أن ندرك هذه السنة الإلهية في التغيير والإصلاح، يقول تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفتح: ٢٣]، "وبمثل هذا التغيير الذي حدث في نفوس المسلمين الأوائل، حصل التغيير الحضاري، الذي لم تشهد البشرية مثيلاً له، لا قبله ولا بعده، والسبب أن هذا التغيير يساير السنة التي فطر الله عليه أمور خلقه، والتي بينتها الآية الكريمة في قول الله تعالي: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، فعندما تغيرت تلك النفوس بالإيمان، غيّر الله مابها من جاهليه، وخلّصها من ربقة القبلية الضيقة الشقية إلي آفاق الأمة الموحدة المتكاملة"(١).

(١) الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، البدري محمد، ص١٣.

الخاتمة

وفي خاتمة بحثي المتواضع حول مفهوم الإرادة وأثرها في نهضة الأمة، وأرجو أن أكون قد بينت هذا الجانب المهم في نهضة الأمة الإسلامية، وأسأل الله تعالى أن أكون وفقت فيه، فما كان من صواب فهو من فضل الله تعالى وتوفيقه، وما كان من خطأ وتقصير، فهو مني ومن الشيطان، وألتمس من القارئ الكريم النصح والتوجيه، فالمؤمن مرآة أخيه. ولعلي أن أختم بحث برصد أهم النتائج والتوصيات للبحث.

أهم النتائج:

١-أن الإرادة: هي أقرب إلى الحالة التي تدفع المرء إلى الفعل وتحقيق المراد، أو هي أمر تثق فيه النفس، وتحرص عليه، فتقبل إليه، وتتحول من الفكرة إلى العمل.

٢-في ظل الواقع الذي تعيشه أمتنا من الضعف والتفرق وتسلط العداء، تظهر أهمية الإرادة التي تدفع المسلم إلى العمل وترك التواني والكسل، حتى تنهض أمتنا من واقعها.

٣-وقع خلط بين الإرادتين الكونية القدرية والإرادة الدينية الشرعية، حيث ضلت فيها الجبرية والقدرية، فجعلتهما شيئاً واحداً. ومن أثر هذا الخلط بين الإرادتين: الاحتجاج بالقدر في فعل المعاصي، من الآثار في هذا الخلط بين الإرادتين على فهم الجبرية، الرضى بالواقع السيء.

٤-أن العقيدة الإسلامية الصحيحة غابت عند كثير من المسلمين وحل محلها عقيدة المرجئة، الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب،

والإيمان في القلب، هذه العقيدة الباطلة أسهمت بشكل فعال في ضعف إرادة كثير من المسلمين عن العمل، وفي أصابتهم الوهن وضعف الهمة.

٥-سنة الله في تغيير النعم تجري على الجماعة المسلمة، فما دامت مستمسكة بشرع الله في عملها والاعتصام بحبل الله في وحدتها، فإن نعم الله عليها بالتأييد والنصر ودفع الأذى عنها باقية، فإذا غيرت ذلك فلم تتقيد بشرع الله في عملها، وفرطت في وحدتها، وبدلت وغيرت، سلط الله عليها الأعداء فتكالبوا على الأمة وأذلوها وفرقوا شملها، ونهبوا خياراتها، يقول تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الرعد: ١١].

التوصيات:

أوصي هنا بما يلي:

١- لابد أن نضع الأهداف التي نريد الوصول إليها، ونخطط لها، ونسعى لتنفيذها في الواقع، وذلك يكون من خلال إشاعة ثقافة التخطيط لدى الأفراد والمؤسسات، ومن المؤسسات التي يمكن أن تقوم بهذه المهمة في الدولة وزارة للتخطيط، بأن تضع الخطط المستقبلية لجميع القطاعات في الدولة موضع التنفيذ، وتعمل على متابعتها.

٢-العدول من الكلام الكثير والانتقال إلى العمل المخلص لما فيه نهضة الأمة الإسلامية.

٣-تصحيح عقيدة القدرية والجبرية والإرجاء التي تثبط عن العمل التي تنتشر بين كثير من الناس بالتوعية عبر وسائل التوعية المجتمعية كالمسجد والإعلام وغيره.

٤-وضع منهج باسم التربية الايجابية أو ضمن مادة التربية الوطنية، يعنى فيه: بتربية الأجيال القادمة على الإرادة والإقدام والفعالية والإبداع والإنشاء والتوجّه.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذا البحث، وأسهمت ولو بالشيء اليسير في نهضة أمتنا وعودتها إلى عزها ومجدها. والله تعالى من وراء القصد، إنه سميع قريب مجيب.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة، الجربوع عبدالله، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٣- إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، دار المعرفة، بيروت.

٤- أسباب رفع العقوبة عن العبد أسباب رفع العقوبة عن العبد، ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: علي بن نايف الشحود، ١٤٢٦هـ.

٥- أسرار القوة الذاتية، الفقي، إبراهيم، شركة ميديا بروتك، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

٦- أصول التربية الإسلامية، النحلاوي عبدالرحمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٧- إكمال المعلم شرح صحيح مسلم، اليحصبي العلامة القاضي أبو الفضل عياض اليحصبي.

٨- الأمة الإسلامية من التبعية إلى الريادة، البدري محمد محمد، دار الصفوة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

٩- الإيمان، ابن تيمية تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الرابعة – ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣ م.

١٠- التعريفات، الجرجاني علي بن محمد بن علي الجرجاني، ت: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
١١- التوقيف على مهمات التعريف، المناوي محمد عبد الرؤوف، ت: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، دار الفكر بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
١٢- الديباج، السيوطي، الموسوعة الشاملة.
١٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ.
١٤- الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي أبو العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، ت: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.
١٥- الفوائد، ابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣ م.
١٦- القاموس المحيط، الفيروز أبادي محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأميرية، ١٣٠١هـ الموسوعة الشاملة.
١٧- القول المفيد على كتاب التوحيد، العثيمين محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، محرم ١٤٢٤هـ.

١٨- المحيط في اللغة، ابن عباد الصاحب القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني، عالم الكتب – بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ -١٩٩٤م الطبعة: الأولى.

١٩- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي أحمد بن محمد الفيومي، أبو العباس.

٢٠- المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون.

٢١- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

٢٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت ٦٨٥هـ)، ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٢٣- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

٢٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، رضا محمد رشيد بن علي (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، ١٣٩١هـ ١٩٩٠ م.

٢٥- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [٧٠٠ -٧٧٤ هـ] ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

٢٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٢٧- جامع البيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠)، دار هجر، الطبعة: الأولى.

٢٨- جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، الأحمد نكري القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢١ هـ، الطبعة الأولى.

٢٩- جامع العلوم والحكم، ابن رجب أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٠- دستور الأخلاق في القرآن، دراز محمد عبد الله، مؤسسة الرسالة، الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ.

٣١- دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت – ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة الأولى.

٣٢- رسالة العرشية، ابن تيمية تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ.

٣٣- سر العالمين وكشف ما في الدارين، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية- بيروت لبنان ١٤٢٤ هـ الطبعة الأولى، ت: محمد حسن إسماعيل وأحمد فريد المزيدي.

٣٤- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، اعتنى به فريق بيت الأفكار الدولية، مؤسسة المؤتمن للتوزيع.

٣٥- شرح العقيدة الطحاوية، ابن أبي العز الحنفي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

٣٦- شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي والمسمى بـ ((إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل))، آل الشيخ صالح، الموسوعة الشاملة.

٣٧- شرح العقيدة الواسطية، آل الشيخ صالح بن عبدالعزيز، الموسوعة الشاملة.

٣٨- شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، تقديم: د. محمد همام، دار الكتاب المصرى – دار الكتاب اللبناني، الطبعة: ٢٠١٢م.

٣٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، العظيم آبادي أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، ت: عبد الرحمن محمد عثمان، دار النشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م.

٤٠- علو الهمة، المقدم محمد أحمد إسماعيل، دار طيبة الخضراء مكة المرمة، ط ٨، ١٤٢٠هـ.

٤١- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

٤٢- قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، النجار

زغلول، تقديم: د. عمر عبيد حسنة، مكتبة وهبة للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٤٣- كتابة البحث العلمي، أبو سليمان عبدالوهاب إبراهيم، ط٣، دار الشروق ١٤٠٨هـ جده، السعودية.

٤٤- لسان العرب، ابن منظور محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى. ، ١٤١٥هـ.

٤٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٤٦- مجموع الفتاوى، ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، ت: أنور الباز و عامر الجزار، ادار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ.

٤٧- مختصر شرح حلية طالب العلم، العثيمين محمد بن صالح، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين تلخيص: الأخت " أم عمر " إبتسام.

٤٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، الحكمي حافظ بن أحمد بن علي الحكمي (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم – الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.

٤٩- معجم الفروق اللغوية، العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل، ت: محمد إبراهيم سلي، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١ ١٤١٢هـ.

٥٠- معجم المناهي اللفظية، أبو زيد بكر، ١٤١٧هـ، دار العاصمة، الطبعة الثالثة.

٥١- معجم لغة الفقهاء، موقع يعسوب. الموسوعة الشاملة.

٥٢- معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت/ عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٣- مفاهيم ينبغي أن تصحح، قطب محمد، الخامسة ١٤. ٩ هـ، دار الشروق . مصر.

٥٤- مفردات في غريب القرآن، الأصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أبو القاسم، دار العلم الدار الشامية، دمشق، بيروت ١٤١٢ هـ، ت: صفوان عدنان داودى.

٥٥- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، الدكتور عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

٥٦- مقال: ماذا تعني التربية الإيجابية للأطفال، الشمراني حسن، موقع طفولة، على الرابط: .http: //tufoola. com.

٥٧- مقال بعنوان ((ترتيب الدول اقتصاديا)) جرار آلاء، موسوعة موضوع كوم على النت على الرابط: http: //mawdoo٣. com/ تاريخ الإضافة: ١٢ مايو ٢٠١٤ م.

٥٨- مقال بعنوان ((الإرادة في حياة الفرد المسلم))، أ. عمرو محمود حسن، تاريخ الإضافة ١ مايو ٢٠١٣م. على الرابط: http: //www. /manaratweb. com

٥٩- مقال في كلمة التحرير، بعنوان (مجاعة فأين ابن الخطاب)، المنتدى

الإسلامي، مجلة البيان، العدد الأول.

٦٠– مقال: من قضايا المنهج الفاعلية. طريق الحضارة، البدري محمد محمد، مجلة البيان – (٣٢/٩٩).

٦١– موسوعة الأعمال الكاملة، حسين محمد الخضر، دار النوادر بسوريا، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.

٦٢– موسوعة الرد على الصوفية، مجموعة من العلماء، الموسوعة الشاملة.

فهرس الموضوعات